شيء من الحسد

حتى لو صح أن الحسود لا يسود!.. ومهما يكن من شر الحاسد اذا حسد ومع ايماني الراسخ بانه من غير اللائق أن يخامر الضيوف شيء من الحسد، اي شيء منه، في اثناء تجوالهم بين غرف المنزل المضيف وردهاته. فلا يسعني الا ان اعترف بما يعتريني من الحسد حين اتجول في رحاب هذا البلد او ذاك من اقطار العالم، ولا ريب في أن الاعتراف راحة للبال وبلسم للضمير.

والنوبة الاخيرة من نوبات الحسد التي ابتليت بها كانت قبل أيام وفي جزيرة قبرص التي يصح فيها قول الشاعر: حتى على الموت لا اخلو من الحسد ..

قبرص، صديقتنا الصغيرة (اصغر من لبنان)، وشريكتنا في بلوى الاحتلال والتمزق والحرب الاهلية والمؤامرات الدولية، قبرص، على علاتها وويلاتها كانت مثار غيرتي وساحة حسدي في هذه الايام.

في البدء حسدت القبارصة جميعا، فلديهم موانئهم الخاصة، ولديهم مطار وصناعات خفيفة ومشاريع زراعية، ولديهم سواحلهم وحرس السواحل الخاص بهم، ولديهم مدنهم وقرميدهم وغاباتهم (على ضآلتها) وهم يملكون جبالا وفنادق، وعندهم فوق كل هذا نبع صغير على جانب الطريق الجبلي بين نيقوسيا وبافوس، تستطيع أن

توقف السيارة على مقربة منه لتشرب ماء قراحا ولتغسل وجهك وترطب صدرك وذراعيك. ولا يجوز لي أن أنسى مكاتب السياحة التي تقدم لك مجانا خريطة الجزيرة (قياس ١: ٥٠٠،٠٠٠)، الملونة بالاعلانات السياحية والمزوقة بالتحية الطيبة (أهلا وسهلا بكم في قبرص!). وحين تطلب فنجان قهوة فان النادل المهذب يسألك على الفور: هل تريد قهوة قبرصية؟ ويدفعك الفضول لاكتشاف هذه القهوه القبرصية فيتضح لك بعد قليل أنك طلبت قهوتك الخاصة القهوة المنزلية التي لا قهوة لك سواها والتي عرفتها منذ طفولتك في الوطن الذي لا وطن لك سواه.

كان هذا في البدء. وحين تنبهت الى ان قبرص مجزأة الى قبرصين فقد حسدت الاثنتين كلا على حدة. فالقبارصة الاتراك يشكلون ٢٥ بالمئة من مجموع السكان وهم يسيطرون اليوم على ٣٢ بالمئة من مساحة البلاد. وهم يتصرفون على هواهم في مناطقهم وسواء كان الجيش التركي جيش احتلال أم جيش حماية فان حوانيتهم مفتوحة للسياح ولا توجد لديهم دائرة اراضي اسرائيل ولا كيرن كييمت ولا دوريات خضراء ولا يقتلع الجيش اغراس زيتونهم ولا تخرب الدبابات مقاثيهم وحقول حنطتهم.

ولدى القبارصة اليونانيين مساحة كافية من الارض ليشقوا طريقا جديدا وليرفعوا على جانب هذا الطريق شعارا كبيرا: (لا تنس الاحتلال التركي في شمال البلاد!) ولديهم حكومة ووزراء وسفارات ومناسبات رسمية واحتفالات شعبية واعراس يغنون فيها ما يشاؤون دون ان تستدعيهم شرطة اسرائيل للتحقيق معهم حول الاغاني (المتطرفة) التي أنشدوها في أعراسهم.

كان ذلك اسبوعا واحدا. ليس كثيرا وليس قليلا. كان اسبوعا

حقيقيا بكثير من الشمس والبحر والفنادق والشوارع. بكثير من السفر والتحيات، بكثير من الحزن والفرح واللقاء والوداع. بكثير من الناس والبيوت والشجر وبشيء من الحسد!

على فطنة،

هل هو الحسد حقا وبكل معنى الكلمة؟ .. الذين يعرفون الحب لا يعرفون الحسد. وبما انني "ادين بدين الحب أنى توجهت ركائبه" وسفنه وطائراته، فان الحسد يصبح هنا امرا مجازيا. وكل ما يبقى في النفس هو من قبيل الم الحامل التي تتعسر ولادتها بينما ترى الى جاراتها وصديقاتها المرضعات يهدهدن اطفالهن ويهللن بطير الحمام المكرس للذبح، (مجازا هو الاخر) في سبيل تهويمة انسانية صغيرة على مشارف الحلم.

ويحز في القلب والروح ان نرى الى بعض اخوتنا الفلسطينيين وهم يقدمون فعلا على ذبح طير الحمام الراقد على اطراف الحلم لا لسبب الا لان قضيتنا تبدو لهم أكثر تعقيدا في هذه الايام.

والذين شاهدوا مثلي مقابلة الحاج رشاد الشوا على شاشة التلفزيون الاردني يدركون ما اعنيه. فحالة اليأس والتخلي الكامل عن أبسط الحقوق الفلسطينية، حق تقرير المصير واقامة الدولة المستقلة، هذه الحالة المغرقة في سوداويتها، المفرطة في تعاستها، لا يجوز لها ان تمر ولا يحق لنا ان نهادنها.

لا بأس بشيء من الحزن

لا بأس بشيء من الالم

ولا بأس بشيء من الحسد المجازي، الا ان القضية الفلسطينية لا تحل في قبرص ولا في المملكة الاردنية الهاشمية. واغلاق المكاتب الفلسطينية في عمان ليس أزمة فلسطينية بقدر ما هو أزمة المخطط

الامريكي الاسرائيلي -الاردني- المصري. فقد توهم أصحاب هذا المخطط انهم من خلال اتفاق هنا ولجنة هناك ووعد امريكي ووعيد اسرائيلي وخضوع مصري وخنوع اردني، سيتمكنون في نهاية الامر من احكام قبضتهم على مقدرات الشعب الفلسطيني وتجريده من الحلم بعد تجريده من الجغرافيا. ولم يقدم حكام الاردن على اغلاق المكاتب الفلسطينية بالتنسيق مع اسيادهم الاسرائيليين واسياد اسيادهم الأمريكيين الا بعد ان تأكد لهم عجزهم عن اغلاق ابواب التاريخ في وجه خمسة ملايين فلسطيني اقسموا وتعاهدوا وتواعدوا على ان تكون لهم فلسطينهم الخاصة، أسوة بانغولا الانغوليين واندونيسيا الاندونيسيين ونيكاراغوا النيكاراغويين وقبرص القبارصة!

هذه هي المسألة.

لا حسد ولا يحسدون.

لا يأس ولا من ييأسون.

لا إنابة ولا من ينوبون.

هذه هي المسألة.

شعب حقيقي يريد وطنه الحقيقي .. مكاتب سياحة .. شواطيء، منازل، مدارس وخريطة ملونة كتب فوقها بالخط الديواني، وربما بالكوفي :(اهلا بكم في فلسطين) (فلسطين ترحب بكم) .. هذه هي المسألة.

«الاتحاد» ١٩٨٠